مساهمة قبائل ساحل الريف في النشاط البحري خلال القرن التاسع عشر - قبيلة بني سعيد أنموذجا -

د. محمد أحميان– المغرب
Ahmiane2008@hotmail.fr

ملخص:

لعبت قبائل ساحل الريف شمال المغرب، خلال القرن التاسع عشر، دورا بارزا في تاريخ البلاد، حيث أهلها موقعها الجغرافي المشرف على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، لأن تنغمس بقوة في النشاط البحري. ومن أبرز هذه القبائل، نجد قبيلة بني سعيد في الريف الشرقي، التي توفرت على عدد من القوارب، وظفتها أساسا في أعمال القرصنة، والمساحلة، والتهريب. خاصة في ظل طبوغرافية مساعدة على ذلك، والمتمثلة في وجود مجموعة من المرافئ الطبيعية؛ كمرفئ سيدي حساين، الذي كان له صدى كبيرا في الوثائق المخزنية، خلال ق 19م، فيما يتصل بقضية التهريب والتجارة، والقرصنة. وقد سمح هذا النشاط البحري لقبيلة بني سعيد، لأن تكون على اتصال دائم مع الأوربيين، مما أكسب بعض أفرادها ثروة وجاه، وجعلهم محط اهتمام من قبل الدوائر السياسية الأوروبية. كما كان لانفتاح القبيلة على البحر الأبيض المتوسط، والاختلاط بالآخر؛ تأثير مهم على بنية المجتمع.

Contribution of the tribes of the coast of the countryside in maritime activity during the nineteenth century -Bani Saeed tribe model -

Abstract:

During the 19th century, the northern coastal tribes of Morocco, played a prominent role in the history of the country. The geographical position overlooking the western basin of the Mediterranean Sea, strongly indulge in marine activity. Among the most prominent of these tribes, the tribe of Ait Said in the eastern countryside, which was available on a number of boats, employed mainly in the acts of piracy, degradation and smuggling. In particular the presence of a group of natural harbors, including the port of Sidi Ehsayn, which was echoed in the warehouse documents during the 19th century, in connection with the issue of smuggling, trade and piracy. This maritime activity allowed the Ait Said tribe to be in constant contact with the Europeans, the fact which gained some of its members a fortune and made them the focus of attention by the European political circles. The opening of the tribe on the Mediterranean Sea and the mixing of the other had an important impact on the society, and this shift is well felt in the form of dress and food habits, as well as in the emergence of elite clients with the Europeans.

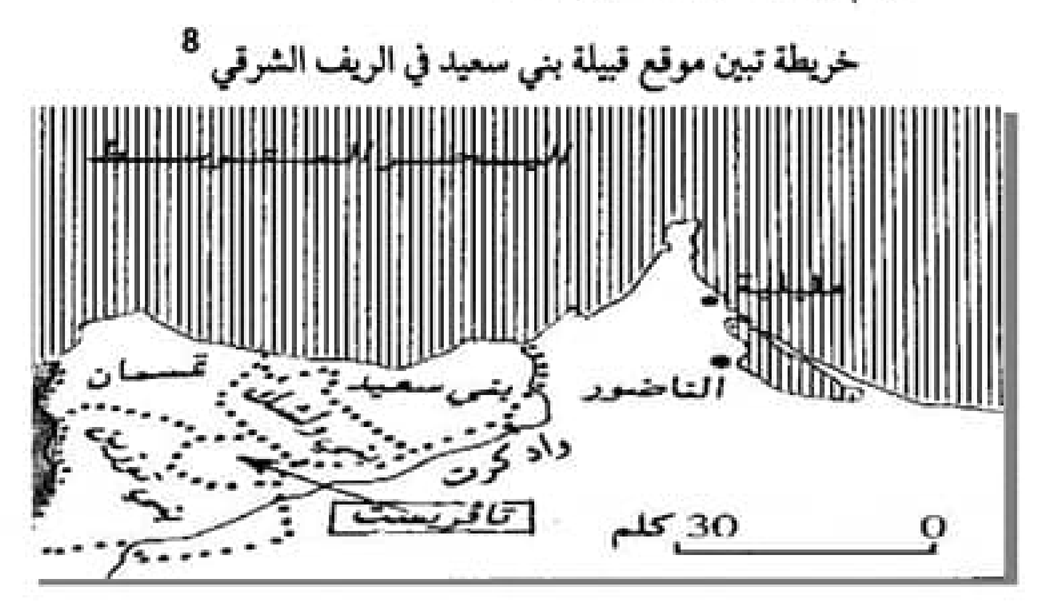
مقدمة :

شهدت القبائل الساحلية للريف [1] خلال القرن التاسع عشر، نشاطا بحريا مهما، الأمر الذي جعلها حاضرة بقوة على الساحة الدولية (من خلال أعمال القرصنة التي استهدفت السفن الأوربية)؛ حيث أصبح نشاطها البحري، من أبرز ما تداولت فيه دار النيابة السعيدة في طنجة. وسأحاول في هذه الورقة البحثية، الوقوف عند نموذج قبيلة بني سعيد [2] في الريف الشرقي، حيث أهّلها موقعها الجغرافي، المشرف على حوض البحر الأبيض المتوسط، للانغماس بقوة

في النشاط البحري؛ خاصة في ظل امتلاك القبيلة عدد من القوارب، قدرها القنصل الإسباني في تطوان "تيودرو دي كويياس" (Teodoro De CUEVAS)، مع نهاية القرن التاسع عشر بحوالي **20** قارب [3]. وقد وظفت هذه القوارب أساسا؛ في أعمال القرصنة والمساحلة، والتهريب؛ وساعدها على ذلك طبوغرافية المنطقة، ومنها:

- سيادة الأنهار؛ التي كانت تتخذ القوارب من مصباتها ملجئ لها، كنهر "الكرت"، الحد الفاصل بين مجال قلعية [4] وبني سعيد، الذي ينبع من مرتفعات بني توزين وكزناية، وتصل مياهه إلى البحر الأبيض المتوسط [5].
- توفر ساحل بني سعيد، على عدد من المرافئ تقع في خلجان محمية، كان الأهالي يلجؤون إليها بقواربهم للاحتماء من العواصف، والاختباء من أعين أعدائهم من السفن الأوربية، وكذا سفن المخزن [6] التي كانت تقوم بحراسة "كوسطة" الريف [7].

خريطة تبين موقع قبيلة بني سعيد في الريف الشرقي [8]



وقد وُجد في ساحل قبيلة بني سعيد، مرفئ مهم، وهو سيدي حساين؛ ولأهميته كان تحت المسؤولية المباشرة لقواد المخزن في المنطقة، الذين كان عليهم تفقد أحواله، والحرص على عدم استعماله في أي عمل محظور [9]. لذا نجد لهذا المرسى، صدى كبير في الوثائق المخزنية، فيما يرتبط بقضية التهريب والتجارة؛ ومنها رسالة جوابية من السلطان الحسن الأول إلى قبيلة بني سعيد، تطلب فيها الإذن لشراء الحبوب من الميناء المسمى سيدي حساين، مؤرخة بفاتح صفر 1299هـ الموافق ل 23 دجنبر 1881م [10]. إذا في ظل هذه الظروف الذاتية والموضوعية لقبيلة بني سعيد؛ فماهي تجليات نشاطها البحري؟ وكيف أثر اهتمامها البحري على سياسة المخزن تجاه القوى الأوربية؟ ما دور النشاط البحري للريفيين في الاحتكاك بالخارج؟

1. قبيلة بني سعيد ومساهمتها في تجارة المساحلة:

قام ساحل الريف، بدور محوري في تفعيل تجارة المساحلة، خلال القرن التاسع عشر، عندما كانت الجيوب المحتلة "مسدودة" في وجه التعامل التجاري مع القبائل؛ فنشطت تجارة المساحلة، انطلاقا من قبائل الريف الشرقي، ومنها بني سعيد؛ من أجل تحقيق تكامل اقتصادي بين أطراف الساحل المتوسطي، وكانت محاور هذه التجارة تتم في اتجاهين:

<u>الاتجاه الأول:</u> نحو مرسى تطوان، الذي كان يُعد محطة أساسية في "تجارة القوافل البحرية" لقبائل ساحل الريف، وشكل مستودعا تجاريا للريفيين. مما أنعش الرواج التجاري بين مرفأ مصب وادي مارتيل، في اتجاه ساحل بني سعيد. ولم تكن الرحلة تتم مباشرة بين مرافئ هذه القبائل وتطوان؛ ولكن كانت القوارب،

تتوقف للقيام بمجموعة من المعاملات التجارية مع ساحل القبائل التي تحط بها، نظرا لخصوصية السلع التي تميز كل قسم من أقسام الريف[11].

وقد تنوعت بنية الحركة التجارية لهذا المحور؛ فكانت قوارب بني سعيد تأتي إلى مرسى مارتيل بالقمح والشعير، والفول، واللوز، والزبيب، والبيض، ...إلخ. وتعود محملة بكميات من الجلابيب، والسلع القطنية، والصوفية، والحقائب الجلدية، والبْلاغِي، والملح القادم من قادس، والقضبان الحديدية[12].

وإذا كانت الحبوب غالبا ما تنتقل من الريف إلى تطوان، إلا أنه في أيام الفاقة قد يحدث العكس؛ لتجاوز النقص الحاصل في القبائل. وفي هذا الإطار، تلقى قائد قبيلة بني سعيد، سيدي محمد أحضري، في 10 ماي 1877، رسالة جوابية من السلطان محمد بن عبد الرحمان، يجيز فيها استيراد الحبوب من مرسى مارتيل[13].

وقد أسهم هذا الرواج بشكل كبير، في تنشيط تجارة تطوان، وهو ما أثر عليها بعد إمساك أهل الريف عن المتاجرة معها، عقب إقدام سكان الريف – لاسيما وسطاء تجار اليهود- بالمتاجرة مباشرة مع جبل طارق والجزائر[14]، بالإضافة إلى إغرائهم جراء الامتيازات الممنوحة لهم في الثغور المحتلة. فولّى القسم الشرقي للريف (بني سعيد، قلعية، كبدانة...)، وجهته إلى مليلية، التي بدأت تجارتها مع هذه القبائل تنمو بشكل سريع، مقارنة مع تطوان[15]؛ نتيجة انفتاح الثغور المحتلة على القبائل، خلال الثلث الأخير من القرن 19م، والتضييق الذي تعرضت له القوارب الريفية المبحرة إلى تطوان، التي فُرِض عليها الحصول على "تصريح السفر" (الباسبورط).

الاتجاه الثاني: نمت بشكل كبير تجارة المساحلة بين ساحل قبيلة بني سعيد والغرب الجزائري، خلال أربعينيات ق19م، مستفيدة من التشجيع الفرنسي؛ نظرًا للدور الذي قامت به قوارب الريف، في تنشيط تجارة ميناء نيمور،[16] في أقصى الغرب الجزائري؛ ثم تأثير لجوء الأمير عبد القادر إلى الحدود الشرقية للمغرب، على التجارة بين الغرب الجزائري والمنطقة الشرقية للمغرب، مما عزز تجارة المساحلة بين الريف الشرقي والجزائر[17]. وتزامن هذا النمو، مع ظهور رجل مهم من بني سعيد، وهو محمد أحضري إلى الساحة التجارية[18]. وهذا ما يمكن أن نفهمه من الرسالة المخزنية الجوابية الموالية، والمؤرخة في 11 ربيع الثاني 1270 الموافق ل 11 يناير 1854م، والتي أشارت إلى أن أهالي بني سعيد يسافرون ويكسبون رزقهم من عرض البحر دون أي معارضة من أحد، وذلك بفضل نفوذ محمد أحضري، حيث كان لهم حرية الوصول إلى البحر، بحكم العلاقة القوية التي جمعت أحضري مع السلطة المركزية. ومن هنا نفهم تسريح المخزن للقبيلة بشراء الحبوب من مناطق أخرى من المغرب، وحرية التحرك في البحر[19].

وعموما قد نمت تجارة المساحلة الريفية، خصوصا في منتصف ق 19م، إذ أن جل القبائل الريفية أولت اهتمامها لهذه التجارة[20]، التي تمكنت من استيعاب عدد من السواعد البشرية، وأسهمت في تحريك النشاط الاقتصادي لقبائل الساحل الريفي؛ عن طريق إيجاد منفذ لتصريف الإنتاج المحلي، وجلب المنتوجات الأجنبية.

2. دور قبيلة بني سعيد في تنشيط حركة التهريب:

إن وفرة الإنتاج أيام الصابة، لم يكن السوق الداخلي كافيا لامتصاص فائضه، ففي رسالة من قائد قبيلة بني سعيد، إلى القنصل العام لفرنسا في طنجة "جاجيرشميث" (Jajerschmidt)[21]، مؤرخة في 27 أبريل 1851م، يعلمه فيها أن "(...) بلدنا وجميع البلاد في حالة سعيدة، ويعث الله لنا الكثير هذه السنة، ولدينا كمية كبيرة من القمح والعسل والخضروات"[22]. الأمر الذي كان يحتاج إلى تصريف "الفائض"، فشكل التهريب إحدى قنواته، في ظل انعدام مَرَاسٍ مفتوحة في وجه التجارة.

ومثلت الثغور المحتلة، محاور أساسية في التجارة غير المشروعة، حيث أصبحت قوارب الأهالي، تنظم حركة التهريب إلى شواطئها، لترويجها في أسواق القبائل[23]. ويمكن أن نسجل بأن القبائل التي نشطت القرصنة، هي ذاتها التي حركت التهريب، أولا نظرا للعلاقة الموجودة بين النشاطين، ثم ثانيا لحاجته إلى القوارب والخبرة البحرية، فاهتم قسم من سكان قبائل الساحل بنشاط التهريب[24]. فالظروف الطبيعية والإمكانيات الاقتصادية، جعلت الأهالي يولون وجهتهم مبكرا إلى البحر، ويضطلعون بحركة التهريب الأوروبي التي تصدرت أنشطتهم الاقتصادية[25]، واستعملوا في ذلك عدة مواقع على ساحل بني سعيد.

وهكذا، صار سكان قبائل بني سعيد، يتعاملون بالتهريب (الكنطربنض)[26]، جهارا مع مليلية كأنه نشاط مباح[27]. إلا أن استحداث

ديوانة مليلية، سيخفض أهمية هذا التهريب، ليفسح المجال لنوع آخر من التهريب، المرتبط بمحاولة التملص من أداء الرسم لأمناء التعشير في الديوانة.

ولكي يتخلص المهربون من المنع الذي كان يفرضه المخزن على التجارة مع الجيوب المحتلة، كانوا يأتون ليلا إلى مليلية ويسلمون بضائعهم، مستعملين القوارب لتجاوز عسة الحدود البرية [28]. حيث استفاد ثغر مليلية من تهريب مزدوج، عبر البر والبحر على السواء، انطلاقا من القبائل المجاورة (قلعية، كبدانة، بني سعيد).

كما برز دور قبيلة بني سعيد، في نشاط التهريب عن طريق البحر الذي مورس مع غرب الجزائر (وهران، ميناء ساي، أرزيو، نيمور ...). فكانت عمليات التهريب تنطلق من هذه القبيلة بحكم عامل القرب، رغم المراقبة الشديدة التي أحدثها المخزن، خاصة قرب مصب واد كايس، بإقامته حامية عسكرية بقصبة عجرود (السعيدية)، منذ سنة 1884م [29].

وفي المقابل وبّخ المخزن المتساهلين من قواده مع المهربين، وهذا ما توضحه الرسالة المخزنية الآتية، الموجهة إلى قائد قبيلة بني سعيد محمد أقشيش السعيدي [30]، التي جاء فيها: "(...) وبعد، فقد تقرر لعلمنا الشريف تفاحش ما يقع في سواحل البحر هناك من المفاسد، والاشتغال بجلب الأمور الممنوعة الوسق بغير المحال المعهودة لذلك، وما ذاك إلا لتراخيكم وتغافلكم، وموافقة البعض منكم لأهل الجرأة والافتيات، حتى كان قبل يدعى الممنوع من التصرف فيه بغير إذن؛ حيث كان خفية واختلاسا بالكنطربانضو، واليوم صارا التصرف فيه جهارا وكأنه مباح، يطلق اسم البيع والشراء، ولا حرج عليكم فيه، وذلك برأى منكم

ومسمع، لا ناه ولا منته، ولا نكير ولا مُنْكِر. وعليه، فنأمرك أن تتيقّظ لذلك، وتتدارك ما فرّطت فيه مما وقع هنالك. وخاطب إيالتك بالكف عن فعل ذلك، واجعل في حضانه العسس، وأكد عليهم، واسترع على الإيالة في العود لمثل ذلك، وشدد على الأعيان والأشياخ، واجعل درك ما يقع من ذلك عليهم على أنه في الحقيقة عليك لا عليهم؛ لأنهم عند أمرك، ثم من عثرتم عليه يعود لفعل ذلك يقبض عليه، وينكل به لينزجر به غيره" [31]؛ إذ حَمَّل المخزن الباشوات والقواد، كامل المسؤولية في التراخي للضرب بقوة على أيدي المهربين والمتواطئين معهم، فيما عسى أن يحدث في ساحل الريف من خروج عن الأحكام. وهذا ما أكد عليه الحسن الأول في رسالة له إلى القائد مبارك الدويلالي [32]، الذي أخبره "أن أهل (...) مرسى بادس بإيالتك اشتغلوا بإخراج الكطرينض منها من غير نكير عليهم، وعليه فنأمرك بالضرب على أيديهم، وصرفهم عنه، وإجراء الأحكام عليهم فيه حتى ينزجروا، وإلا كانت عهدته عليك" [33]. غير أنه، في الواقع، إذا كان بعض القواد والباشوات قد تهاونوا مع المهربين، فإن البعض الآخر لم يقووا عليهم؛ نظرا لما أصبحوا يتمتعون به من قوة ونفوذ.

هكذا حمل المخزن الباشوات والقواد، كامل المسؤولية في التراخي، مع المهربين والمتواطئين معهم. لكن غياب الإمكانيات اللوجستية المتوفرة لدى رجال المخزن في الريف، جعلت دورهم ضعيفا مُفْسحا المجال لتزايد أنشطة التهريب؛ الذي شجعته القوى الأوروبية لخدمة مصالحها.

3. مساهمة قوارب قبيلة بني سعيد في القرصنة :

وفرت الطبيعة المورفولوجية لساحل الريف، بوصفه جزءا من العالم المتوسطي، إمكانية ممارسة "القرصنة"[34]. حيث يمتاز هذا الساحل بطابعه الصخري الشائك، الكثير التعرجات؛ إذ تهيمن على الريف سلاسل جبلية، تنتهي بأجراف صخرية، شديدة الانحدار[35]، فضلا عن كثرة نتوءه، وامتداده داخل البحر، وخلجانه الضيقة.

فمكن هذا العامل المورفولوجي لساحل الريف، القراصنة من مراقبة المجالات الفاصلة بين رأس وآخر، وترصد السفن قبل الانطلاق لمحاصرتها في الوقت المناسب[36]. كما أن وجود الخلجان وفر أحسن ملاذ للقوارب الصغيرة، للاحتماء من العواصف وهيجان البحر، زيادة على سرعة الاختفاء عن الأنظار. وتشكل المواقع المرفئية أشباه جزر، تتوالى فيها الأحواض البحرية، مستفيدة في تكوينها من مواصفات تضاريسية ملائمة، على هيئة خلجان صغيرة محمية طبيعيا[37]، مثل مرسى سيدي حساين، وسيدي عيسى.

كما شكلت مواقع المصبات مرافئ طبيعية[38]، وكانت بمثابة ملاجئ ونقط استراتيجية للقراصنة. ويضم ساحل الريف مصبات أنهار مهمة، شكلت فرصة مواتية لقراصنة بني سعيد، لتوجيه قواربهم ضد سفن أعدائهم التي تُفاجئ بتوقف هبوب الرياح[39]. وبذلك أسهمت الخصائص الجغرافية لساحل بني سعيد، في دفع سكانه إلى ممارسة النشاط البحري الموجه ضد السفن الأوروبية، وفي جعله مركزا أساسيا لاعتراض سفنهم. وكان سكان ثلاثة خلجان صغيرة، وهي: مرسى سيدي حساين، مرسى سيدي أحضري، ومرسى سيدي

عيسى؛ يزاولون مهنة الصيد، والملاحة الساحلية، والقرصنة؛ وتستعمل قواربهم لهذه الأعمال مجتمعة.

وكانت القرصنة مصدرا مربحا بالنسبة للسكان، لأن السيطرة على البضائع التي كانت على متن السفن، يجعلها ذات فوائد عظيمة. كما أن الإفراج عن البحارة الأوروبيين الأسرى، كان يتم مقابل دفع فدية للريفيين [40]. وقد تمكنت قوارب بني سعيد، من اسر عدد من السفن الأوروبية، كما هو الشأن بالنسبة للمركب الاسباني "سان فرنسيسكو" (San Francisco)، الذي غرق، في 12 دجنبر 1884م في ساحل بني سعيد، فقام الأهالي بنهب شحنته من الخشب، وأسر طاقمه [41].

من جانبها مارست السلطات الإسبانية نوعا من الانتقام ضد نشاط قوارب بني سعيد، فأقدمت سنة 1858م، على اعتراض قارب في ملك القبيلة، وكان اسمه "ميمون"، والذي تبين فيما بعد، بأن ملكيته تعود إلى الوجيه سيدي محمد أحضري، الصديق القديم للإسبان؛ وكان هذا القارب ينشط أساسا في التجارة، ونقل المهاجرين إلى الغرب الجزائري. وجاء في تصريح للقنصل الإسباني في طنجة، أن هذا القارب لم يكن يستعمل في القرصنة، وإنما في تجارة المساحلة [42]، ولم يقم بأي عمل عدائي ضد الإسبان [43]. مما يجعلنا نتساءل عن الأسباب الخفية، التي جعلت إسبانيا تقدم على هذا العمل.

يمكن تفسير هذا الحادث بعاملين أساسيين:

- رغبة السلطات الإسبانية في التدمير المنهجي لتجارة المساحلة الدولية للريفيين [44]، خصوصا أمام الدور النشيط الذي قامت به قوارب بني سعيد، لتنشيط التجارة مع الغرب الجزائري على حساب الثغور المحتلة.
- إن هذا الحادث جاء كرد فعل استباقي، وأسفر عن احتجاز ثمانية وعشرين ريفيا، ينتمون إلى قبيلتي قلعية وبني سعيد خاصة، من أجل تأمين حياة أسرى إسبان كانوا قد وقعوا في قبضة الأهالي، لتفادي تنفيذ الريفيين تهديدهم، وتقديم اقتراح بمقايضتهم [45].

عموما، فقد تطورت الأحداث إلى أزمة دبلوماسية بين المغرب وإسبانيا، بسبب هذا الحادث، وتعقّد الوضع أكثر عندما أقدمت إسبانيا، في بداية 1859م، على مطالبة المخزن، وبلهجة شديدة، بإطلاق سراح الأسرى الإسبان، وأداء تعويض قدره ثلاثون ألف ريال على خمسة مراكب إسبانية تم نهبها منذ عشر سنوات خلت، ثم توسيع حدود مليلية [46]؛ الأمر الذي أثار استغراب النائب السلطاني بطنجة محمد الخطيب [47]؛ الذي كاتب القنصل الإنجليزي "ج. د. هاي" (J. D. Hay) [48]، بقوله: " لذلك، فإننا لم نفهم موجب الإلحاف على مولانا السلطان في تسديد الخسائر، في حين أن الحراسة أخذت حق نفسها بيدها" [49]؛ في إشارة إلى القوارب الريفية التي قبض عليها.

وقد تدخل "ج. د. هاي" لدى الإسبان، من أجل الإفراج عن المركب "ميمون"؛ وهو الطلب الذي قدم على حد السواء من قبل المخزن ومحمد أحضري [50]. ففي مذكرة من وزير الخارجية للوزير المفوض لصاحب الجلالة في

لندن، جاء فيها: "صاحب السعادة، إن المذكرات التي وجهها لسعادتكم، بتاريخ 13 و16 و 27 من ديسمبر الأخير، بمناسبة الحادث الذي سببه أسر المركب الشراعي "ميمون"، قد أحاطت سيادتكم علما بنوايا حكومة المملكة" [51]. وطالب المخزن بدوره إسبانيا بأداء تعويض عن المركب "ميمون"، قدره عشرة آلاف، ردا عن مطالبة الحكومة الإسبانية بأداء تعويض قيمته ثلاثون ألف ريال، مقابل المراكب الخمسة التي احتجزها الريفيون [52].

4. "فلائك" قبيلة بني سعيد ودورها في تنقل المهاجرين الريفيين إلى الجزائر:

إن توفر أهالي بني سعيد على "الفلايك" [53]، التي قامت بدور المساحلة، وظفت أيضا "في نقل المسافرين إلى تيطاون وطنجة ومليلية" [54]. وتظل الحركة نحو الغرب الجزائري أهمها، فأمام فقر منطقة الريف، كانت السواعد البشرية تمثل أهم ثروة توفرت للمنطقة [55]. هذا في الوقت الذي أسهمت فيه السيطرة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م، في تغيير التوازن الاقتصادي والمجالي لشمال إفريقيا، فبدا فيه المجال الجزائري مركزا، بينما أضحى المغرب وتونس هامشا، مفرزا تيارا مهما للهجرة نحو الجزائر. حيث مثلت لهم موردا اقتصاديا إضافيا، لتغطية نفقات العيش عند العودة إلى ديارهم. لذا، فسنويا كان ينتقل آلاف منهم للاشتغال لدى المعمرين الفرنسيين في الأشغال العمومية، وحرث الحقول، والحصاد، وجني العنب [56]. خاصة لعدم شعور الأهالي بالغربة، لوجودهم في دار الإسلام، وأن الحدود التي وضعتها فرنسا لم تكن تعنيهم في شيء.

وكانت القوارب الريفية التي تقصد وهران، تستريح في نيمور؛ لعدم قدرتها على القيام برحلة طويلة، ومواجهة الأمواج العاتية [57]. ورغم

المضايقات التي تعرضت له القوارب الريفية، من قبل السلطات الإسبانية في الثغور المحتلة؛ إلا أنه "تزايد عدد القوارب الريفية المترددة خلسة على غرب الجزائر، كمرفأ نيمور، وغيرها من النقط البحرية القريبة؛ الشيء الذي يؤشر على تحول نوعي في وظيفتها الأساسية، فبعدما كانت بالكاد تقتصر على تجارة المساحلة، أضحى دورها الرئيسي نقل المهاجرين الريفيين" [58].

وفي هذا الإطار، جاء في رسالة مخزنية جوابية موجهة، بتاريخ 27 يوليوز 1884م، إلى كبير المحلة بقصبة جنادة [59] على حدود مليلية، حول البابورات، (المراكب)، التي وردت من وهران ومنعتها السلطات الإسبانية من الرسو بميناء مليلية، خوفا من انتقال وباء الكوليرا إليها من الجزائر الفرنسية بواسطة العمال الريفيين العائدين على متن تلك المراكب، فاتجهت إلى مرسى سيدي حساين. ونصها: "(...) خديمنا مبارك الدبلالي؛ وبعد، وصل كتابك بأنك بعدما قدمت الإعلام لجانبنا العالي بالله بورود بابورات من وهران الجزائر، حاملين للمسلمين الذين كانوا يخدمون في الوساطة، ومنع حاكم مليلية لها من الترسية بمرساها بسبب الألم – الوباء، الذي بافرانصة –كذا- ، أتى ببابور من وهران محمد بن الطاهر بن يطو دودح العلج من إخوان الخديم محمد بن العربي البوغافري، لمحل من الساحل بين مرسى القلة ومرسى وادي كرت، وتعرض لهم إخوان ابن العربي المذكور وأعاقوهم (...)، ثم أتى البعض من بني سعيد ببابور آخر لمرسى سيدي حساين، فضربته العسة بالبارود فتأخر وضربهم بالمدفع وطلع مع الساحل إلى محل بين مرسى سيدي إدريس بتمسمان ومرسى سيدي حساين،

وانزل هناك نحو ستة وثمانون رجلا (...)؛ مؤرخة ب 4 شوال عام 1301 موافق ل 27 يوليوز 1884 م".[60].

ولعل مزاوجة نشاط "الفلايك" الريفية بين نقل المهاجرين والتهريب، هو ما جعل المخزن يصدر أوامره إلى رجاله في الريف، لتشديد الحراسة على السواحل. وفي هذا الصدد، وجه المخزن تحذيرا لرجاله يحثهم على اليقظة وضبط الحراسة الساحلية، بجعل المشرفين عليها من أهل الجد والنجدة. ومما جاء فيها: "(...) خديمنا محمد بن أحمد الكبداني وبعد، فقد بلغ لشريف علمنا أن البابورات وردت من وهران، حاملة للمسلمين الذين كانوا يخدمون بالوساطة (عمال موسميين)، ورامت إنزالهم بمراسي بني شيكر، وبني بوكافر، وبني سعيد؛ فمنعتها العسة من ذلك. وعليه، فنأمرك أن تكون على بال منها، وتجعل العسة الكافية القوية بمراسي إيالتكم وتضبط أمرها"[61].

وبذلك، أسهمت القوارب الريفية بفعالية في نقل المهاجرين من ساحل الريف إلى الغرب الجزائري، غير أن هزيمة الجيش المغربي أمام إسبانيا في معركة تطوان (1859- 1860م)، والضغوط الأوروبية على المخزن، أدخلت مجموعة من التغييرات على ملاحة القوارب الريفية في ساحل المتوسط، بسحب الإسبان عدة تنازلات من المخزن، فيما يتعلق بحرية ملاحة القوارب الريفية. فقد نص الفصل الخامس والعشرون من الاتفاقية المغربية–الإسبانية، لسنة 1861م، على ما يلي: "اتفق الطرفان المتعاهدان، اجتنابا لكل مضرة يمكن وقوعها من كل تحرك حر للقوارب الريفية، على أن لا يقوم رياس تلك القوارب أو ملاكها بأي سفر، إلا بعد أن يحصلوا على رخصة من حكام المواقع الإسبانية بالبحر

المتوسط، أو من القناصل الإسبانيين إذا كانوا يسكنون في موانئ يقيم بها أولئك القناصل، وتعطى لهم وثائق السفر في البحر مجانا، ويستعملونها كرخص لسفر مشروع"[62].

وبفضل هذه الإجراءات، تم تقييد "فلايك" أهل الريف من التحرك، فاختلت موازين القوى في سواحل الريف لصالح إسبانيا؛ حيث أضحت قوارب الأهالي عاجزة عن الإبحار دُونَ التصريح الذي تمنحه السلطات الإسبانية في الثغور[63]. وتزايد تضييق المخزن على "فلايك" أهل الريف، بقرار مصادرتها[64]؛ بإصدار الأمر إلى "رئيس البابور التركي[65]، بجر جميع الفلائيك التي يعثر عليها بمياه الكوشطة الريفية"[66].

لقد كان لهذه الإجراءات، دورا فعالا في تحجيم حركة "الفلايك" الريفية نحو الغرب الجزائري، فتحول الثقل نحو الحصون الإسبانية، التي أصبحت منفذ الريفيين على الخارج. وفي هذا الصدد، أقدمت السلطات الإسبانية، بفتح ميناء مليلية في وجه المهاجرين الريفيين المتجهين نحو الجزائر، عبر فتحها خط بحري يربط بين ميناء مليلية ووهران.

خـــاتـــمـــة

عموما، عرف الساحل المتوسطي للريف خلال القرن 19م، تحولات جذرية، مكنته من الخروج من عزلته التي دخل فيها عقب سقوط الثغور المتوسطية في يد الإيبيريين خلال القرن 15م، ليدخل في حقبة تاريخية جديدة، امتازت بانفتاح قبائل ساحل الريف على البحر الأبيض المتوسط. ويقدم النشاط التجاري، والتهريب، والقرصنة؛ أحسن دليل على انخراط الريف في النشاط

البحري، وإيلاء وجهه إليه بنسج علاقة متينة مع مجاله المائي الحيوي، وترسيخها مع مرور الزمن. ففقر موارد منطقة الريف، بموازاة الضغط الديمغرافي، جعل الأهالي ينظرون إلى المجال البحري كمصدر اقتصادي، يمكن أن يُسْهم في تحقيق التكامل الاقتصادي.

وقد تسبب النشاط البحري لقبائل الساحل الريف (بني سعيد أنموذجًا)، خاصة ما يتصل بالقرصنة والتهريب؛ وما ترتب عنهما من منازعات، في أزمات دبلوماسية حادة بين المغرب والدول الأوروبية المبحرة في حوض المتوسط، التي استغلت هذه الورقة للضغط على المخزن؛ مما اضطره للعمل على تقزيم تحرك قوارب أهالي الريف، مجهضًا بذلك العودة القوية للريفيين نحو البحر.

غير أن النشاط البحري لقبيلة بني سعيد، خلال القرن التاسع عشر، قد بوئها مكانة معتبرة على الساحة الدولية؛ وسمح لها هذا الدور لأن تكون على اتصال دائم مع الأوروبيين. مما اكسب لبعض أفرادها ثروة وجاه، وجعلهم محط اهتمام من قبل دوائر سياسية أوروبية، وقد كانت شخصية سيدي محمد أحضري من أبرز الشخصيات التي تداولتها المراسلات الدبلوماسية الأجنبية، وخاصة فيما يتعلق بملف "القرصنة الريفية". كما كان لانفتاح القبيلة على البحر الأبيض المتوسط، والاختلاط بالأخر، تأثير مهم على المجتمع؛ وقد نلمس هذا التغير من خلال التحول في شكل اللباس، والعادات الغذائية، وكذا في بروز نخبة من المتعاملين مع الأوروبيين.

الهوامش:

1- يطلق الريف للدلالة على المجال الجغرافي والبشري، الممتد على طول الواجهة المتوسطية للمغرب، الواقعة بين نهر ملوية ومضيق جبل طارق. وهي المنطقة التي سوف تخضع للاستعمار الإسباني بعد سنة 1912. لمزيد من التفصيل ينظر: محمد أونيا، "مفهوم الريف المغربي"، **مجلة حوليات الريف**، الحسيمة، ع. 1، 1998، ص ص. 14 -44.

2- قبيلة بني سعيد تقع في الريف الشرقي، تُحد شمالا بالبحر الأبيض المتوسط، تحيط بها قبائل بني بوغافر، وبني سيدال، ومطالسة، وبني وليشك، وتمسمان. يُنظر: محمد بن عزوز حكيم، **معلمة المغرب**، ج. 3، ص. 1536.

3 -Teodoro De CUEVAS, "Tetuán y su comercio : Memoria del año 1895 redactada y remitida al Ministerio de Estado". **Revista de Geografía Comercial**, nº 158,159 y 160, Año XII, 1896, p.405.

4- قلعية من قبائل الريف الشرقي، لعبت أدوارً تاريخية على الصعيدين الداخلي والخارجي بفضل موقعها المحيطة بكتلة جبلية ووقوعها على ساحل البحر الأبيض المتوسط. يُنظر: حسن الفكيكي، **المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلية (1697م- 1859م)**، منشورات كلية الآداب بالرباط، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1997، ص.22- 23.

5 - Gabriel DELBREL, **Geografía general del Rif (1909-1911).** Eds. de la Consejería de Cultura, Melilla 2009, P. 140.

6- يقصد بالمخزن أو الجهاز المخزني على السلطة المركزية المغربية، ولمزيد من التفصيل ينظر: مصطفى الشابي، **النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر**. منشورات كلية الآداب بالرباط، ط. 1، مضبعة فضالة، المحمدية، 1995، ص.21 وما بعدها.

7- كوسطة تعني الساحل، وهي في الأصل كلمة إسبانية costa. .

8- محمد بن عزوز حكيم، **معلمة المغرب**، ج. 3.ص. 1590.

9- مصطفى الشابي، **الجيش المغربي في القرن التاسع عشر**. ط. 1، مطبعة الوراقة الوطنية، مراكش 2008، ج. 1، ص.305.

10 -Abdelmajid BENJELLOUN, **Fragments d'histoire du Rif oriental et notamment des Beni Said dans la deuxième moitié du XIXe siècle (d'après**

les documents de Hassan Ouchen). Impr. Al Maarif al jadida, Rabat 1995, p.237-236.

11- أوجيست موليراس، **المغرب المجهول: اكتشاف الريف**. ترجمة وتقديم: عز الدين الخطابي، منشورات تيفراز، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ج. 2، 2013، ص. 232.

12 - Benjelloun, *op. cit.*, p.405.

13 - ET-TABYI (Eduardo MALDONADO VÀZQUEZ), **Retazos de historia marroquí**. Publicación de Instituto General Franco de Estudios e Investigación Hispano-Árabe, Editora Marroqui, Tetuán 1955, p. 211.

14- عبد العزيز السعود، **تطوان خلال القرن التاسع عشر: مساهمة في دراسة المجتمع المغربي**. مطبعة الحداد، تطوان 1417هـ/1996م، ص.57.

15 - Ojeda a Silvela, despacho nº 144, 8 de Noviembre de 1899, ***A.G.A***. África, Sección Histórica (Marruecos), Caja 122.

16- ميناء نيمور (Nemours) ميناء قديم في غرب الجزائر على الحدود المغربية– الجزائرية، يعود تاريخه إلى العهد الفنيقي، وقد سماه أبو عبيد البكري "بواد غزوانا"، وفي سنة 1847 أطلق عليه الاستعمار الفرنسي اسم "Nemours" نسبة للحاكم "أومال" (Duc d'Aumale)، وبعد استقلال الجزائر سيطلق عليه ميناء الغزوات.

17 -- Benjelloun, *op. cit.*, p.238.

18 - *Ibid, id.*

19 - *Ibid.* p. 405.

20 - *Ibid.* p.238

21- "جاجير شميث" (Charles Jagerschmidt) قنصل عام فرنسا بطنجة (1850-1855) ينتمي إلى عائلة بروتستنتية، ولد في منطقة الألزاس سنة 1930، تخرج من الأكاديمية البحرية، لكن سيتحول إلى العمل الدبلوماسي، الذي بدأه كوكيل قنصلي في لبنان، ليتم تعينه منذ 1850 كقنصل عام في طنجة، ولعب دور فعال في الأحداث التي شهدها المغرب خلال هذه الفترة، لاسيما تلك المتعلقة بساحل الريف. كما تميز بتقاربه الكبير مع المخزن، وتمكن من تجاوز العديد من القضايا الشائكة بين بلاده والمخزن.

22- أوردها:

Benjelloun, op. cit., p. 229.

23- أمام الدور الذي لعبته الثغور المحتلة في التهريب نحو القبائل المجاورة، كاتب المخزن الوزير المفوض لإسبانيا في طنجة ب: "المحب العاقل، الناصح المسطر المفوض لدولة إسبانيا

السنيور إميليو أوخيدا، بعد السلام التام عليكم والسؤال عن أحوالكم محبة أن تكون بخير وعافية، بالإعلام لرفيع جنابكم بأنه أصدر لنا أمر مخزني أكيد، بأن نكلم جنابكم في شأن فساد بعض أهل الريف الذين يتعاطون أعمال الكنطربند في فلائكهم التي تصل لحجرة النكور، لتطير الإعلام بما ذكر لحضرة دولتكم الفخيمة ليصدروا أمرها بمنع وصول الفلائك المذكورة لحجرة النكور (...)". رسالة محمد بن محمد اللبادي إلى المفوض الإسبان بطنجة إميليو أوخيدا، مؤرخة في 12 شوال عام 1314هـ/ 16 مارس 1897م، وثائق *A.G.A*، المجموعة الخاصة بالمغرب، صندوق 194.

24 - Angelo GHIRELLI, **El norte de Marruecos: Contribución al estudio de la zona de protectorado español en Marruecos septentrional**. Eds. Artes Graficas Postal Exprés, Melilla 1926, p. 143.

25- جرمان عياش، **أصول حرب الريف**. ترجمة: محمد الأمين البزاز؛ عبد العزيز التمسماني خلوق، منشورات الشركة المغربية المتحدة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1992م، ص. 109.

26- كلمة نجدها في الرسائل المخزنية، وهي كلمة عامية مغربية مأخوذة من الإسبانية Contrabando وتعني تجارة التهريب. وأصل الكلمة إيطالي، بدأ يستعمل منذ بداية القرن السادس عشر. لمزيد من التفصيل يُنظر: عكاشة برحاب، التهريب والحدود في شمال شرق المغرب. ضمن: **وقفات في تاريخ المغرب**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، 2001 الدار البيضاء، ص ص.337- 364.

27- رسالة من السلطان مولاي الحسن إلى قائد قبيلة بني سعيد محمد أقشيش السعيدي، مؤرخة ب 4 محرم 1298هـ / 7 دجنبر 1880م. وردت في: **الوثائق**، منشورات مديرية الوثائق الملكية، المطبعة الملكية، الرباط، ع. 11، 2006ص. 265.

28 - Gabriel De MORALES, **Datos para la historia de Melilla (1497-1907)**. Publicación del Centro asociado UNED de Melilla, Imp. Copistería la Gioconda, Granada 1992, t. 1, p. 183

29- عكاشة برحاب، **تدبير الأزمات بين المغرب وفرنسا: قضية برج كبداتة بساحل الريف 1901م**. ط. 1، مطبعة ربا نيت، الرباط 2008م، ص. 39.

30- محمد أقشيش السعيدي، هو قائد قبيلة بني سعيد، إحدى قبائل الريف الشرقي، من سنة 1293هـ إلى سنة 1305هـ، وهي السنة التي عزل فيها. ثم أسندت له مهمة أمين

في القبيلة نفسها واستمر في مُهمته هذه الى عام 1309هـ. يُنظر: **الوثائق**، ع. 11، م. س، ص. 264.

31- رسالة من مولاي الحسن إلى قائد قبيلة بني سعيد محمد أقشيش السعيدي، مؤرخة ب 4 محرم 1298هـ/ 7 دجنبر 1880م. أوردها: عبد الرحمان أقشيش، **وثائق قبيلة بني سعيد: تحقيق ودراسة**. بحث لنيل الإجازة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، السنة الجامعية 1979- 1980م، ص. 42.

32- مبارك الدويلالي: عينه المخزن، في 21 شوال 1300هـ/ 24 غشت 1884م، على رأس قصبة جنادة بفرخانة للسهر على ضبط الحدود الفاصلة بين مليلية وقبيلة قلعية، وكلف أيضا بمكافحة التهريب، وحل المنازعات بين الإسبان وأهل الريف، وقد أعفي من مهامه سنة 1306هـ/1889م. حسن الفكيكي، **معلمة المغرب**، ج. 11، صص. 4092- 4093.

33- رسالة من السلطان المولى الحسن الأول إلى القائد مبارك الدويلالي، بتاريخ 22 رجب عام 1303هـ/ 26 أبريل 1886م، خ. ح. الرباط، كناش 162، 221. أوردها: محمد أونيا، "القرصنة الريفية (1856م- 1898م): الأسطورة والواقع". ضمن: **الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي**. منشورات جمعية أبي رقراق، سلا 1999، ص. 337- 338.

34- فرناند بروديل، **البحر المتوسط**. ترجمة: عمر بن سالم، منشورات البحر الأبيض المتوسط، تونس 1990، ص. 43.

35 - Joan NOGUÉ y José Luis VILLANOVA VALERO, ***España en Marruecos (1912-1956).*** Editorial Milenio, Lleida 1999, p. 115.

36 - Adolfo LLANOS ALCARAZ, **La campaña de Melilla de 1893-1894**. Estudio preliminar de Francisco Saro Garandillas, Algazara, Málaga 1994, p. 348.

37- حسن أميلي، **المغاربة والمجال البحري في القرنين 17- 18م**. منشورات مختبر الأركيولوجيا والتراث الثقافي الساحلي بالمحمدية، ط. 1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط 1432هـ/2011م، ص. 47.

38- موليراس، م. س، ج. 2، ص. 205.

39 - G. DELBREL, *op. cit.*, p. 132.

40 - AKMIR Youssef, "Reflexiones sobre la sociedad marroquí y la política de atracción español (1898-1912)". En: **Relaciones entre España y Marruecos en el siglo XXe**. Edición de la Asociación Española de Africanistas, Madrid 2000, p 26.

41 - Nota presentada por la Legación española en Tánger a Ministerio de Estado, despacho nº 238, Tánger 10 de Septiembre de 1891, ***A.G.A.*** África, Sección Histórica (Marruecos), Caja 221

42 -Jerónimo BECKER, **Historia de Marruecos (Apuntes para la Historia de la penetración europea, y principalmente de la española, en el Norte de África)**. Eds. Establecimiento Tipográfico de Jaime Ratez, Madrid 1915, T.1, p.233.

43 - Benjelloun, *op. cit.*, p.241

44 -*Ibid.* p.241

45 -*Ibid.* p.273.

46- خالد بن الصغير، "موقف بريطانيا العظمى من الأطماع الإسبانية في شمال المغرب خلال سنة 1859م". **مجلة دار النيابة**، ع. 21، 1989، ص. 35.

47- محمد الخطيب ينتمي إلى أسرة تطوانية مرموقة، تولى عدة مناصب، ففي سنة 1847م، تولى مهام الأمانة بمرسى طنجة وفي مطلع سنة 1851م عين نائب عن السلطان في طنجة، فإتقانه للغات ومخالطته للأوربيين أهله للاضطلاع بدور الوسيط بين السلطان ورؤساء المفوضيات الأوربية بطنجة، وقد اعفاه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان من منصبه سنة 1861م. لمزيد من التفصيل، يُنظر: مصطفى الشابي، **معلمة المغرب**، ج. 11، ص.3779- 3780.

48- ولد سنة 1816 بفرنسا، ونشأ في مدينة إيدنبورغ البريطانية إلى حدود سنة 1832، كان ابوه وليام قنصلا عاما لبريطانيا في المغرب منذ 1820، وفي سنة 1845 عين قنصلا عاما لبلاده في المغرب وظل ممثلا لبريطانيا العظمى لمدة تقارب نصف قرن، عاصر ثلاثة سلاطين مغاربة، واعتبر عميدا للسلك الدبلوماسي، توفي سنة 1892. للمزيد من التفصيل ينظر: خالد بن الصغير، **المغرب في الارشيف البريطاني: مراسلات جون دراموند هاي مع المخزن (1846- 1886)**. الشركة العامة للنشر ولادة، الدار البيضاء، 1992، ص. 7.

49- بيان محمد الخطيب إلى "ج. د. هاي" بطنجة 1859م. أورده: محمد داود، **تاريخ تطوان**. المطبعة الملكية، الرباط 1398هـ/1978م، مج. 4، ص.99.

50 - Benjelloun, *op. cit.*, p.215

51- داود، **تاريخ تطوان**، م. س، ج.4، ص 57.

52- **الوثائق**، م. س، م. 2، ص. 308، هامش 2.

53- يرد هذا الاسم (الفلايك) في الوثائق المخزنية وتعني القوارب

54- موليراس، م. س، ج. 1، ص. 139

55- بوبكر، بوهادي، (2002)، **المغرب والحرب الأهلية الإسبانية**، الرباط، ج. 1، ص. 254، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ، الآداب والعلوم الإنسانية، (مرقونة).

56 - Fernández DE CASTRO Y Rafael PEDRERA, **El RIF: Los territorios de Gelaía y Quebdana**. Imp. Zambrana Hermanos, Málaga 1911, p.22

57 -Mohamed OUNIA, **Les Boqqouia : contribution à l'étude de l'histoire sociale du Rif précolonial (1860 – 1912)**. Thèse de doctorat en histoire d'Outre-Mer, Université de Provence Aix- Marseille 1 Centre d'Aix, Année 1994, P. 228

58- محمد اونيا، "رسائل مخزنية حول حركة الهجرة والتهريب بين سواحل الريف والجزائر سنة 1301هـ/1884م". ضمن: **الريف وإشكالية التنمية**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2014م، ص.178

59- قصبة جنادة او دار المخزن حسبما تعرف به محليا، واقعة بالحوض الأوسط من واد فرخانة، وهي عبارة عن قصبة غير بعيدة عن خط الحدود الداخلية إلى مليلية المحتلة، تأسست القصبة في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان (1859- 1873)، وقد جاءا نشاؤها تنفيذا للفصل الخامس من اتفاق غشت 1859، وكذا اتفاق ابريل 1860م مع إسبانيا؛ حيث تم التأكيد في الاتفاقيتين على إحداث حراسة مخزنية دائمة مكونة من غير أهل الريف، تحت إشراف قائد من رتبة عالية. لمزيد من التفصيل، يُنظر: حسن الفكيكي، **معلمة المغرب**، ج. 9، ص.3096- 3097- 3098.

60- محمد اونيا، "رسائل مخزنية، م. س، ص. 175- 156.

61رسالة مؤرخة في شوال عام 1301هـ / 1884، كناش رقم 121 الخزانة الحسنية، الرباط ص 106، أوردها: محمد أونيا، "القرصنة الريفية (1856م- 1898م): الأسطورة والواقع". ضمن: **الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي**. منشورات جمعية أبي رقراق، سلا 1999، ص. 347.

62- **الوثائق**، منشورات مديرية الوثائق الملكية، المطبعة الملكية، الرباط، ع. 4، 1977. ص. 19.

63 -"A los navegantes rifeños: protección al comercio". **El Telegrama del Rif**, Melilla, Año V, 8 de Junio 1906, nº 1349, p. 01.

64- أمام الضغط الذي مارسته القوى الأوربية على المخزن، اضطر للاذعان لإلحاحها، بإصدار أمره إلى مصادرة "فلايك" أهل الريف التي كانت تنشط تجارة المساحلة. وهذا ما يبينه نص الرسالة التالية: "وصيفنا الأرضى القايد إدريس بن يعيش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى. وبعد، فقد أصدرنا أمرنا الشريف لقبيلتي غمارة وبقيوة بترك الفلايك التي يستخدمونها بمرسى سواحلهم في الوسق والوضع؛ لما وراءها من المفاسد والمضار العايدة عليهم نتائجها، وألزمناهم عدم العود لاستعمالها. وأما من وقع الإشهاد عليهم بذلك وأذنا لغمارة في الإتيان بالفلايك التي عندهم معرة لذلك لخدامنا أمناء مرسى طنجة أو تطوان؛ بقصد تقويمها، ودفع ثمنها لهم، وها نسخة من رسم الإشهاد عليهم بما ذكرت تصلك فيه لتعلم فصولها، وتجري العمل معهم على مقتضاها، ونأمرك أن تكون عينا وأذنا على ما يعود منهم للوصول لتلك المرسى المحروسة بشيء، والفلايك المشار إليها موسوقة بأي نوع من أنواع الموسوقات ولو ملح الطعام، وتقبض على كل من وقع الظفر به منهم، وتحضر عدلين لتقييد ما يوجد عندهم بالفلايك التي وردوا بها، واطلع علمنا الشريف بذلك (...)". رسالة من السلطان مولاي عبد العزيز إلى القايد إدريس بن يعيش، بتاريخ 17 صفر 1317هـ/ 27 يونيو 1899م. **خ.ع. تطوان**، مح. 85/17.

65- سفينة سيدي التركي: اشتريت من شركة "ويرمان" الألمانية سنة 1890م، كانت مجهزة بمدفعين، وطاقم يتشكل من 20 بحريا مغربيا، و6 ألمان يسهرون على قيادتها وتسييرها التقني، وبلغ وزنها 460 طنا. وقد استخدمت لتموين مراكز الريف الحربية، ولعبت دورا مهما في محاربة التهريب في ساحل الريف.

66- رسالة من الصدر الأعظم احمد بن موسى إلى النائب الحاج محمد بن العربي الطريس، بتاريخ 25 رجب 1316هـ/ 9 دجنبر 1898م، **خ.ع. تطوان**، مح. 17/25.